بسم الله الرحمن الرحيم

صناعة الذات

أ. مُريد الكُلاّب

صناعة الذات هي الفكرة التي تحدونا نحو هدف نسعى إليه بعزيمتنا ، و نعرف أننا حقّقنا نجاحنا إذا استطعنا أن نصل إلى ما نريد .. إلى ذلك الهدف .. إلى ذلك النجاح .. هل أنتَ ناجح ؟ هل أنتِ ناجحة ؟ هل نحن ناجحين في حياتنا ؟ دَعوني انطلق معكم في قصة ربما ترغبون سماعها .. ربما تريدون أن تسافروا معي إلى أحداثها .

قصة طموح ، قصة نجاح ، تلك القصة كانت شرارة انفجار لثورة من التقدم و الرّقي و الحضارة في اليابان تلك القصة هـي قصة شاب اسمه تاكيو اوساهيرا ذلك الشاب خرج من اليابان مسافراً مع بعثة تحوي مجموعة من أصحابه و أقرانه متجهين إلى ألمانيا ، وصل إلى ألمانيا و وصل معه الحلم الذي كان يصبو إليه ، و يراه بعينيه ذلك الحلم هو أن ينجح في صناعة محرك يكون أول محرك كامل الصّنع يحمل شعار صُنع في اليابان ، ذلك حلمه ، بدأ يدرس و يدرس بجد أكثر و عزيمة أكثر مضت السنوات سراعاً كان أساتذته الألمان يوحون إليه بأن نجاحك الحقيقي هو من خلال حصولك على شهادة الدكتوراه في هندسة الميكانيكا ، كان يقاوم تلك الفكرة و يعرف أن نجاحه الحقيقي هو أن يتمكن من صناعة محرك ، بعد أن أنهى دراسته وجد نفسه عاجزاً عن معرفة ذلك اللغز ينظر إلى المحرك و لازال يراه أمراً مذهلاً في صنعه غامضاً في تركيبه لا يستطيع أن يفكّك رموزه .

جاءت الفكرة مرة أخرى ليحلق من خلالها في خياله و ليمضي من خلال خياله نحو عزيمة تملكته و شعور أسره ، تلك الفكرة : (لابد الآن أن أتَّخذ خطوة جادة من خلالها أكتشف كيف يمكن أن أصنع المحرك) .

إخواني الكرام ، أخواتي الكريمات : صدقوني النجاح الذي نحصل عليه ينطلق من خلال فكرة نصنعها نحن و نمضي نحـن في تحقيقها ، تلك الفكرة مضى ذلك الشاب ليحققها ، فحضر معرض لبيع المحركات الايطالية ، اشترى محرك بكل ما يملك من نقوده ، أخذ المحرك إلى غرفته ، بدأ يفكك قطع المحرك قطعةً قطعة ، بدأ يرسم كل قطعة يفكّكها و يحـاول أن يفهـم لمـاذا وُضعت في هذا المكان وليس في غيره ، بعد ما انتهى من تفكيك المحرك قطعة قطعة ، بدأ بتجميعه مرة أخـرى ، اسـتغرقت العملية ثلاثة أيام ، ثلاثة أيام من العمل المتواصل لم يكن ينام خلالها أكثر من ثلاث ساعات يومياً كان يعمل بجدٍّ و دأب ، في اليوم الثالث استطاع أن يعيد تركيب المحرك و أن يعيد تشغيله مرة أخرى ، فرح كثيراً ، أخذ المحرك ، ذهب يقفز فرحاً نحو أستاذه ، نحو مسئول البعثة و رئيسها : استطعت أن أعيد تشغيل المحرك ، بعدما أعدت تجميع القطع قطعة قطعـة ، تـنفس الصعداء ، شعر بالراحة : الآن نجحتُ ، لكن الأستاذ أشار إليه : لسّا ، لسّا ما نجحت ، النجاح الحقيقي هو أن تأخذ هـذا المحرك ، و أعطاه محرك آخر : هذا المحرك لا يعمل ، إذا استطعت أن تعيد إصلاح هذا المحرك فقد استطعت أن تفهم اللغـز ، تجربة جديدة ، أخذ المحرك الجديد ، حمله و كأنه يحتضن أعزّ شيء إليه ، إنه يحتضن الحلم ، إنه يحتضن الهدف ، وراح يمـضي بعزيمة ، دخل إلى غرفته ، بدأ يفكك المحرك من جديد ، و بنفس الطريقة ، قطعة قطعة ، بدأ يعمل على إعادة تجميـع ذلـك المحرك ، اكتشف الخلل ، قطعة من قطع المحرك تحتاج إلى إعادة صهر و تكوين من جديد ، فكر أنه إذا أراد أن يتعلم صناعة المحركات فلا بد أن يدرس كعاملٍ بسيط ، كيف يمكن لنا أن نقوم بعملية صهر و تكوين و تصنيع القطـع الـصغيرة حـتى نستطيع من خلالها أن نصنع المحرك الكبير.

عمل سريعاً على تجميع باقي القطع بعد أن اكتشف الخلل و استطاع أن يصلح القطعة ، ركب المحرك من جديد ، بعد عشرة أيام من العمل المتواصل ، عشرة أيام من الجد و العزيمة ، لم ينم خلالها إلا القليل القليل من الساعات ، في اليوم العاشر ، طربت أذنه بسماع صوت المحرك و هو يعمل من جديد ، حمل المحرك سريعاً و ذهب إلى رئيس البعثة: الآن نجحت ، الآن سألبس بدلة العامل البسيط و أتّجه لكي أتعلم في مصانع صهر المعادن ، كيف يمكن لنا أن نصنع القطع الصغيرة ، هذا هو الحلم ، وتلك هي العزيمة ، بعدما نجح رجع ذلك الشاب إلى اليابان ، تلقّى مباشرة رسالة من إمبراطور اليابان ، وكانوا ينظرون إليه بتقديس و تقدير ، رسالة من إمبراطور اليابان ! ماذا يريد فيها ؟ : أريد لقاءك و مقابلتك شخصياً على جهدك الرائع و شكرك على ما قمت به . رد على الرسالة : لا زلت حتى الآن لا أستحق أن أحظى بكل ذلك التقدير و أن أحظى بكل ذلك الشرف ، حتى الآن أنا لم أنجح ، بعد تلك الرسالة ، بدأ يعمل من جديد ، يعمل في اليابان ، عمل تسع سنوات أخرى بالإضافة إلى تسع سنوات ماضية قضاها في ألمانيا ، كم المجموع ؟ أمضى تسع سنوات جديدة من العمل المتواصل استطاع بعدها أن يحمل عشرة محركات صُنعت في اليابان ، حملها إلى قصر الإمبراطور الياباني ، وقال : الآن نجحت ، عندما استمع إليها الإمبراطور الياباني و هي تعمل تَهلّل وجهه فرحاً ، هذه أجمل معزوفة سمعتها في حياتي ، صوت محركات يابانية الصّنع مئة بالمئة ، الآن نجح تاكيو اوساهيرا ، الآن استطاع أن يصنع ذاته عندما حَوّل الفكرة التي حلّقت في خياله من خلال عزيمته إلى هدف يراه بعينيه و يخطو إليه يوماً بعد يوم ، عندما وصل إلى ذلك الهدف استطاع أن ينجح ، في ذلك اليوم صنع ذاته ، صناعة الذات انطلقت من ذلك الشاب ليتبنّاها كلّ عامل ياباني يرفع شعار : إذا كان الناس يعملون ثمان ساعات في اليوم سأعمل تسع ساعات : ثمان ساعات لنفسي ولأولادي و الساعة التاسعة من أجل اليابان ، تلك المعنويات جعلتنا نقول العالم يلهو و اليابان يعمل ، جعلتنا نفتخر بملبوساتنا و بمقتنياتنا لأنها صُنعت في اليابان.

كلام رائع ، كلام جميل ، أعرف ما يدور في أذهانكم ، أين الفرصة ؟ أين الظّروف المواتية ؟ أنت تتكلم عن ظروف مُهيأة ! صناعة الذات اذهب و اعمل على إلقائها في مكان آخر ، أنا أمامي الكثير من العقبات ، أمامي الكثير من الحواجز ، و أنت تحدّثني عن الفكرة و الطّموح و العزيمة و الأهداف ، حَدِّثني عن المشاكل التي تُحيطُ بي أولاً ، أليسَ كذلك ؟ ربّما تدور هذه الفكرة في عقول بعضنا الآن ، دعوني أحدّثكم عن واقع آخر و عن تجربة أخرى ، هي أكثر تألّقاً وأكثر طُموحاً ، تجربة بدأت و انطلقت من رَصيف في بيروت عاصمة لبنان ، ذلك الرصيف كان ينام عليه شابٌ صغير ، من أين أتى ذلك الشاب إلى هذا الرصيف ؟ أتى من بيت عمه الظّالم ، عمه القاسي بعد أن تُوفيت أمه و تُوفي أبوه ولم يَعد له أحد غير ذلك العم ، الذي قال له يوماً وبصراحة : لقد أَثقلتَني و لم أعد قادراً على تَحمُّل مصاريفك ، اذهب إلى الشارع ، خرج الطفل الصغير نحو الطريق الواسع ، راحت خُطواته تتبعثر حائرة : إلى أين أذهب ؟ وجد المكان المناسب ، رصيف ممتد ! فوق الرصيف إنارة صفراء ! وبجواره صندوق كبير للمهملات و النفايات ! موقع رائع ! الرّصيف هو المأوى والنور هي مصدر الأُنس و صندوق النفايات هو المصدر للطعام ، كانت تلك هي المواصفات ، تلك هي البيئة بدأ الشاب ينام فوق الرصيف و تحت الإنارة و يأكل بقايا الطعام التي كان يجدها ملفوفة في بعض الصُّحف المرميَّة ، بعدما يأكل كان يتصفّح الصحيفة و بالكاد كان ينظُر إلى الصور التي يختفي أجزاء منها نتيجة بُقع الزّيت العالقة كان يقرأ بالكاد بعض الأسطر و الكلمات .

انقَدحت في ذِهنه فكرة ، حلَّقت في ذهنه فكرة ، بينما كان يُقلِّب عينيه في صحيفة ممتلئة ببقايا الطعام ، فكّر لماذا لا أَكــون صحفياً ؟ لماذا لا أكون كاتباً ؟ لماذا لا أكتب و أنا صاحب تجربة كبيرة ؟ كم من الناس نام فوق الرّصيف بجــوار صــندوق النِّفايات و تحت الإنارة الصفراء ؟ أنا ! تلك ميزة ، أنا متميز ! لا بد أن أَتعلّم حتى أكون صحفي و حتى أَتعلم لابُدَّ أن اعمل ، أشرق الصباح و أشرق الطُّموح في نفسه ، انطلق صاحبنا يبحث في العاصمة عن مُؤسسات صحفية تفتح له ذِراعها حــتى يعمل فيها أيّ شيء . بحث و بحث ، بحث حتى كَاد أن يَيأس لكنه أَخيراً وجد الفُرصة ، وظيفة مُناسبة ، وظيفة يعمل فيهــا بالمساء حتى يدرس صباحاً تِلك الوظيفة عامل بسيط يمسح الطّاولات ، طاولات الموظفين ، و المكائن ، مكــائن الطباعــة ، وظيفة مُناسِبة على الأقل تَضمن له أن يقرأ كل يوم صحيفة نفس اليوم بدون أي بُقع و بدون أي زيت يلطِّخ الصور و أسطر المقالات بدأ يعمل ، كان يعمل بعزيمة ، كان يعمل على تنظيف الطاولات و كأنه رئيس تحرير تلك المؤسسة ، لأنه يعمــل و يرى بعينيه الطموح و الهدف الذي يسعى إليه . كان يعود إلى ذلك المكان و ينطلق بكتابة مُذكراته و خواطره و يكتــب و يكتب صنعت منه التجربة كاتب يفجر المعاني من خلال كلمات مُتألقة في يوم من الأيام كان يحمل الدفتر و يمــشي بــبراءة الشاب الصغير يمشي بخطى سريعة في أحد أسياب تلك المؤسسة و أحد ممراتها فجأة ارتطم برجل يظهر عليه الكِبر في السن : أنا آسف ، ذلك الرجل كان مُؤدباً و كان من أدبه أنه التَفَت إلى الدفتر الذي وقع على الأرض من يد ذلك الشاب عنــدما وقع الارتطام و وقع الحادث عندما اصطدم ، نزل ذلك الرجل و أخذ الدفتر و اعتذر من الشاب الصغير و قدم الدفتر له ثم تَساءَل : هل تعمل في هذه المؤسسة ؟ قال : أنا أعمل منذ أشهر ، أوه ما شاء الله تعمل عندنا ، أنا رئيس تحرير هذه الجريدة ، ما هذا الدفتر الذي في يَدك ؟ هذي خَواطري أكتُب فيها وو ،،، (الآن جاءت الفرصة) : هذه خواطري أكتب و أنظر لعلّك تقرأ بعض الصّفحات ، قال : تفضّل معي في مكتبي حتى أقرأ خواطرك ، ذهب معه إلى المكتب ، بدأ يقرأ الخواطر ، فإذا بهــا تنطِق عن تجربة و تنطق بمعاناة و تَتحدث عن مأساة و لذلك كانت صادقة ، أعجب بهذه الموهبة الواعدة ، وعده أن يدعمــه حتى يستمر في التطوير ونشر له مقال في تلك الجريدة فكانت أول انطلاقة ، كان ينظر للمقال فلا يرى فيه مقالاً من عِــدة أسطر و إنما يرى فيه الحلم ، يرى فيه الطموح ، يرى فيه الهدف ، استمر ذلك الشاب ... لن أسرد عليكم بــاقي القــصة بأكملها ، القصة طويلة لكني أريد أن أقول لكم أن ذلك الشاب استطاع أن يكون رئيس تحرير تلك الجريدة ثم استطاع أن يمتلك تلك الجريدة ثم استطاع أن يمتلك أكبر مؤسسة صحفية في لبنان ، استطاع أن يصنع ذاته ، من أين بدأ رحلتــه مــع صناعة الذات؟ بدأ بفكرة ، تلك الفكرة التي انعكست من خلال ميزة رآها في نفسه تلك الميزة كانت كَفيلة بأن تجني عليه وأن تقضي عليه ، تلك الميزة هو أنه شاب صغير يتسكّع في الطّريق بلا عائل و بلا مأوى . تلك ميزة ؟ أم سلبيّة ؟ تلك إيجابية ؟ أم مصيبة ؟ لو نظر لها على أنها سلبية لكانت قادرة على أن تُحطم حياته لكنّه نظر إليها على أنّها ميزة يمتاز بها و فكر كيف يستطيع أن ينطلق من خلالها حتى يستطيع أن يأسر قلوب الناس عندما يكون صحفي يتكلم عن معاناته ، أنا أسألكم سؤال ، أخواتي الكريمات ، أسألُكن سؤالاً : كُلٌّ منا يسأل نفسه ، ما هي مميزاتي ، ايش هي الأشياء التي أَمتاز بها ، هل عندكَ مميزات ، هل عندكِ مميزات ، من خلال تلك الميزات هل نستطيع أن نكون أفضل ؟ هل نستطيع أن نوظِّفها حتى نصنع ذواتنا ؟ حتى نُحقِّق نجاحنا ؟ هل نظر الواحد مِنا مرة إلى المرآة ؟

بالتَّأكيد ، تذكر آخر مرة نظرت فيها إلى المرآة ، تذكري أختي الكريمة آخر مرة نظرتي فيها إلى المرآة ، ماذا وجدتم ؟ مـــاذا رأينا في المرآة ؟ وجدت نفسك بالتأكيد ! عندما وجدت نفسك ، ايش وجدت فيها ؟ ماذا رأيت في نفسك من ميزات ؟ هل جلسنا لنفكر ، ما هي الأشياء الحقيقية اللي احنا نمتلكها ، و من خلالها نستطيع أن نكون أفضل ؟

اتصلت عَليَّ إحدى الأخوات ، لا أعرفها ، سألتني سؤالاً كان يحكي المعاناة ، و يحكي التجربة المريرة ، و يحكي اللّوعة التي تجدها في نفسها ، كان ختام سؤالها : أُريد أن أنتحر اليوم ! ايش رأيك ؟ ما هي قصتها التي جعلتها تُفكر بأن تنتحر ؟ تقول : عندما كنتُ صغيرة ، في سن العاشرة أو التاسعة من عمري ، احترق المطبخ ، و كنت في داخل المطبخ ، فاحترق جسمي ، و احترق وجهي ، واحترقَت أرجلي و يديها احترقت ، وكلها احترقت ، و أُصيبت بتشويه بالغ جداً جداً ، وبالرغم من كُـــل عمليات التجميل إلا أنها استمرت مُشوَّهة إلى درجة تُعبر عنها بأنها درجة مُقزّزة لمن ينظر إليها ، تقول : و مع ذلك ، حاولت أن أصبر ، حاولتُ أن أتكيّف مع الحياة ، أكملت دراستي ، أنهيت دراستي المتوسطة ، أنهيت دراستي الثانوية ، دخلتُ الجامعة ، كنت أنظر لنظرات الأخريات إليّ فأجد اللوعة تعتصرُني ، كانوا ينظُرون إليّ برحمة ، لكني كُنت أحترق ، أحترق ، أحترق من تلك الرحمة التي أراها في قسمات وجوههم ، لا أُريد أحد أن يرحمني ، لا أريد أحد أن يُشفق علي ، لا أريد أحد أن ينظر إليّ لا أريد أحد أن يتعاطف معي ، كانت تلك المشاعر تخنُقني و بالرغم من ذلك أكملت دراستي الجامعية ، و أنا الآن وصلتُ إلى الصفر لا أستطيع أن أواصل ، عندما أنهت حديثها ، قلتُ لها : أختي الكريمة ، هل تسمحي لي أن أتحدث إليك بميزة رائعة اكتشفتُها فيك ، خلال هذي الدّقائق التي تحدثتِ معي من خِلالها اكتشفت فيكِ ميزة رائعة ، أريدُكِ أن تكتشفيها في نفسك ، و إذا اكتشفتيها في نفسك ، حرام عليك أن تهدري هذه النّفس الرائعة التي تمتلك تلك الميزة الفذّة ، تساءَلَت : أنا عنـــدي ميزة ، كيفَ عرفت ؟ و ايش هي الميزة ؟ أنا أمتلك شيء جيد ، ما هو ذلك الشيء الجيد ؟ كانت تتساءل بذُهول ، بحَيْرة ، قلت لها : أُختي الكريمة : أنتِ تمتلكين إرادة ، أنتِ تَمتلكِين عَزيمة ، أنتِ تمتلكين صبر لا يُذكِّرني إلا بقول ذلك الشاعر الذي كان يقول:

صابرَ الصبرَ الصبورُ حتى　　　قال الصبرُ للصبور دعني

هذا واحد صبور ، جاء الصبر يتحداه ، الصبر يتحدى الصبور يقول له : أنا أتحداك أن تصبر أكثر مني ، و بدؤوا في المنافسة.

صابرَ الصبرَ الصبورُ حتى　　　قال الصبرُ للصبور دعني

فُكّني ، خلاص ارحمني ، أنا لا استطيع أن أنافسك .

والله أنت تمتلكين إرادة أكثر من طبيعية ، بدأت نفسها تَتفتّق أملاً ، بدأ الطُّموح يُشقّق بيضة اليأس لِيُخرج رأسه و ينظر إلى الحياة المشرقة التي يمكن لها أن تنطلق إليها إذا ما اقتنت تلك الفكرة و حملتها معها .

وماذا أستطيع أن افعل من خلال تلك الميزة !

اووه ، تستطيعين أن تفعلي الكثير ، تستطيعين أن تكوني أكثر من عادية في خدمتك للأُمة و للمجتمع و للناس لأنَّك أكثر من عادية من خلال هذه العزيمة و الإرادة القوية ، أنا أعرف الكثير من الناس لو امتلكوا خَمسة بالمئة من تلك العزيمـــة لنقلـــوا الجبال من أماكنها ، تَشجَّعت ، تَحَمّست ، انطلقت ...

جاءتني الأخبار بأنها الآن وفي هذا اليوم الذي أُحدِّثكم فيه تدير أكبر و أنشط و أوسع مدرسة لتحفيظ القرآن ، تخدم النساء في مدينتها ، وفي منطقتها التي تسكن فيها ، إذا نَظرنا إلى النُّقطة المظلمة فلن نُشاهد المساحة البيضاء من حولنا ، إذا نظرنا إلى نُقطة الضعف فلن نَنظر إلى مزايانا التي نجدها و نحصل عليها بمجرّد أن نراها ، هل نعرف ما هي مُميِّزاتنا ؟ هل نعرف ما هي الأشياء التي يمكن من خلالها أن نُحقِّق نجاحاتنا كُلكم تريدون أن تعرفوها و أهم من أن نعرف مُميزاتنا ، هو أن نُفكِّر كيــف يُمكن لنا أن نُحوِّلها إلى نجاح ؟ و أن نُحوِّلها إلى خطوات نصل من خلالها إلى ما نريد .

صديقي خالد ، حبيبٌ إلى قلبي ، كان يمتلك ابتسامةً أجمل إشراقاً من البدر المُتلألئ في ليلةِ الخامس عشر من الشهر ابتسامتُه كانت أخّاذَة ، قلت له مرةً : أنت تمتلك ميزة رائعة ، ابتِسامتك الفذّة ، ابتِسامَتك المُنْسابة على قَسمات وجهك والتي تسحر الأنْظار التي ترنوا إليك تجعل منك بارعاً في الاتّصال بالآخرين و في تكوين العلاقات معهم ، كان صاحبي موظف بــسيط في أحد الشركات الكبيرة، ترنّحَت في عقله تلك الفكرة ، قَلّبها أكثر ، رَاجعها ، درسها ، اتّصلَ علي : أنت تقــول أن هــذه الابتسامة مِيزة ، و من خلالها استطيع أن أكون رجل علاقات عامة ناجح ، صح ، ما رأيك بأن أضع نصب عيني هذا الهدف أريد أن أكون مدير علاقات عامة في شركتنا العملاقة و الضخمة ، ممتاز ماذا ينبغي علي أن اعمل ؟ أضــف إلى ابتــسامتك مهارات في الاتصال ، أضف إلى ابتسامتك مهارات تحتاجها في العلاقات العامة و ضع على رأسها ابتسامتك لكي تُتَوِّجهــا ، عند ذلك تنجح ، لم يكن المشوار طويلاً ، سنة ونصف ، قفز قفزة ، كان صاحبي يتقَاضى راتب مقداره ألفين و خمسمئة ريال ، صاحبي اليوم يَتقاضى راتب مقداره ستة عشر ألف ريال ، الطموح انطلق من خيال ، بدأ من فكرة ، انتهت الرحلة بالهدف الذي نريده و ليتنا نستمر مُحلّقين في تلك الأفكار ، لكن تعال بنا يا مُحدِّثنا إلى الواقع ، الكثير من الظروف ، البيئة ، المجتمع ، الناس من حولنا ، أحد الذين يديرون في رأسهم تلك الفكرة يذكرني بصديق لي اسمه أحمد ماهر و أُسمّيه أحمد ماهر صاحب الحظِّ العاثر ، و استأذَنْته بأن أتحدث عن اسمه و عن تجربته في أيّ لقاء ألتقي من خلاله أحبة لي أمثالكم أيها الكرام ، أحمد ماهر صاحب الحظ العاثر عندما كان يدرس في المرحلة الثانوية كان بليداً متأخراً في دراسته ، ايش المشكلة يا أحمد ؟ الأســاتذة لا يُحسنون الشرح ! و الله غلطانين ! أحمد ماهر بخطىً متثاقلة تجاوز الثانوية و دخل إلى الجامعة ، بعد أول ست أشهر من الجامعة عمل على تحويل القسم الذي يدرس فيه ، ليش يا أحمد ؟ عندي دكتور لا يفهم ! المشكلة أن التخصص الجديد الذي انتقــل إليه للأسف وجد فيه دكتور آخر لا يفهم ! ترك الجامعة ! أحمد ماهر بحث عن وظيفة ، أحمد ماهر وجد وظيفة ، أحمد مــاهر بعد شهرين ، طُرد من وظيفته ، ليش يا أحمد : مُديري مُتسلِّط ، مديري لا يريد مصلحة العمل ، مديري لا يفهمني ، أحمــد ماهر تزوج ، مبروك يا أحمد ، أحمد ماهر بعد ست أشهر طلق زوجته ، ليش يا أحمد ، زوجتي لا تفهم ، أســألكم ســؤال ، أسألكنّ سؤال : من الذي لا يفهم ؟ أحمد ماهر صاحب الحظ العاثر لا يفهم لأنه يلقي بالمسؤولية على عاتق أي أحد ، كثير منا في رحلته لصناعة الذات أول ما يجد كبوة أو عقبة يلتفت حوله : من المسئول ؟ من المسئول ؟ من المسئول ؟ كان الأحرى به أن يفكر كيف يمكن لي أن أعالج هذه المشكلة بنفسي كيف يمكن لي أن أتحمل المسؤولية و أن أفكر في الحل .

دعوني أحدثكم عن قصة إذا تحدثت عنها وقفتُ إجلالاً لبطلة تلك القصة ، بطلة تلك القصة أراها دائماً كلما رأيتها ضربت لها تحية إجلالاً و احتراماً و تقديراً ، بطلة تلك القصة أعرفها تماماً وكل واحد منكم في هذه القاعة يعرفها تماماً ، أنا رأيتـــها وكلٌ منكم سبق وأن رآها ، تلك البطلة نراها في بعض المرات تمشي على الجدار تتسلق بعزيمة و بطموح و بقوة وبأمل ترى هدفها بعيداً ، قريباً من السقف ربما يكون هدفها نقطة أو حبة سكر وربما يكون هدفها شيئاً حلواً يسيل على طرف الجـــدار وربما يكون هدفها أن تعود إلى مسكنها في ثقب أحد أفياش الكهرباء في الجدار و هي تحمل على كتفها حبة أرز حملتها مشواراً طويلاً تصعد إلى لجدار فيأتي أحد العابثين يضربها بيده فتسقط على الأرض و مع ذلك تقوم بسرعة و بنشاط و بطاقة عاليـــة تحمل حبة الأرز و تعود لتصعد من جديد لأنها هي المسئولة عن الوصول و ليس الذي ضربها تلك البطلة المحترمة هي النملة من منكم سبق له و أن وطأ نملةً بقدمه ، حرام عليه حبيبتي النملة لا تطؤوها بأقدامكم ، النملة إذا سقطت على الأرض تعرف أنها هي المسئولة عن النجاح الذي تريد أن تحققه و لو استجابت لك وأنت تلاحقها بأطراف أصابعك أو لو استجابت لكي و أنتِ تلاحقينها بأطراف أصابع المكنسة لما حققت هدفها يوماً من الأيام تلك النملة علّمتنا كيف نتحمل المسؤولية و علّمتنا كيـــف يكون الذي يتحمل المسؤولية محترماً مقدراً لدرجة أنه يذكر في القرآن ، كلّنا قرأنا قوله سبحانه و تعالى ((حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)) هل قرأتم تلك الآية ما هي قصتها .. سليمان عليه السلام يسير وخلفه الجيش الكبير يسيرون سراعاً أمامهم من بعيد مجموعة من النمل يسعون في طلب الرزق حول بيتهم ، النمل ينظر مذهولاً للجيش القادم من بعيد ، من بين النمل الذي أطال النظر للخطر القادم نملـــة واحدة كانت مبادرة راحت تصرخ : أيها النمل ادخلوا مساكنكم ، راحت تحذرهم ، تلك النملة هل كانت مديرة النمـــل هل كانت قائدة النمل ؟ ربما كانت الشغالة و ربما كانت السائق الله أعلم ، لكنها هي التي ذكرت في القرآن لأنها هي الـــتي تحملت المسؤولية وهي التي راحت تصرخ محذرةً النمل : اهربوا ، عودوا إلى مساكنكم احذروا من الخطر القادم ، تلك النملة كانت حَريةً بأن نحترمها و أن نقدّرها هل سبق لأحدنا أن كان ماراً في الطريق و شاهد زجاجةً منكسرة على الأرض فتركها وقال هذا شغل البلدية ، لو كان ذلك الشخص يمتلك مبادرة النملة لجمع الزجاج و قال ليست المسؤولية مسؤولية البلدية و إنما نحن جميعاً نتحمل المسؤولية ، تلك المسؤولية على الأقل من باب إماطة الأذى عن الطريق ، الذي يتحمل المسؤولية سيجد مئة مبرر لكي يحملها و أول تلك المبررات هو أن السبيل الوحيد نحو النجاح هو تحمل المسؤولية ، بإمكاننا أن نبقى طـــويلاً داخل خيمة الفشل و نرمي على عاتق الآخرين كل ما يُصيبنا و كل ما يُعيقنا وكل ما يقف في طريقنا ، و بإمكاننا أن نفكـــر كيف يمكننا أن ننطلق برغم الظُّروف التي نحن فيها ، كيف يمكننا أن نكون أفضل برغم ما نحن عليه الآن ؟ شيءٌ واحد هـــو الذي يجعلك تندفع نحو إيجاد الحل لأي مشكلة تواجهك في طريق رحلتك لصناعة ذاتك ذلك الشيء هو أن تفكر بأن هناك العديد من الحلول هناك العديد من الأشياء التي يمكنك أن تصل إليها بمجرد أن تراها ، أجدني مضطراً لأن أحكي لكم هـــذه القصة التي تحرك في نفسي مشاعراً لستُ أُدرك معناها ولستُ أفهم محتواها تلك القصة سأخبركم بها كما حـــدثت ، كـــان والدي يُحب أن يبذل الخير للناس يحب أن يساعد الآخرين يحب أن يقف إلى جانبهم ، كان محبوباً منهم جميعاً ، كانوا يحبونه ، و في يوم من الأيام ركب والدي سيارته و سافر من المدينة التي يسكنها إلى مدينة أخرى ، بينما هو في الطريق شاهد رجلـــين

يؤشران له : توقف ، و أوصلنا على طريقك ، مباشرة أوقف السيارة ، للأسف الشديد لمجرد أن أوقف لهما السيارة أقبلا على السيارة بسرعة فتحا الباب ، أنزلاه من السيارة ، أخذا ما معه من نقود ، ضرباه ، فتحوا شنطة السيارة و رموه في الشنطة و أغلقوا عليه الشنطة ، لماذا ؟ أخذتم النقود ، اتركوه ، لا ، حتى لا يستطيع أن يتصل بالشرطة و تدركنا على الطريق ، حتى يكسبوا وقت أكثر ، والدي داخل حقيبة السيارة داخل شنطة السيارة ، يصرخ ، أخرجوني ، ساعدوني ، أنقــذوني ، بــدأ يصرخ يصرخ يصرخ لا أحد يستمع ، لا أحد يجيب لم يكن بقرب السيارة أي أذن تصغي إليه ولا أي عين تنظر إليه مــضى الوقت بطيئاً بطيئاً بطيئاً كان يعاني من حرارة وجوده داخل شنطة تلك السيارة ، في اليوم الثاني تفاجأ أحد المارّة تفاجأ بأنه مرّ أكثر من مرة و وجد نفس السيارة واقفة ، اتصل مباشرة على الشرطة ، احضروا هناك سيارة واقفة في مكان غريب ، اقتربوا من السيارة بدؤوا ينظرون إليها فتشوا السيارة ، فتحو الحقيبة وجدوا والدي داخل حقيبة السيارة لقد توفى ، أخرجوه مــن الحقيبة ، بدأ العزاء ، جاء الناس يُعزّون جئتُ أنا منذهلاً مستغرباً حزيناً متسائلاً نظرت إلى السيارة نفس السيارة كانت تقف عند باب البيت ، فتحت حقيبة تلك السيارة دخلت إلى داخلها ، أغلقت على نفسي باب الحقيبة بدأت أتساءل كيف حصل الموقف ، شاهدتُ في سقف الباب بعض الضّربات التي كانت تدُل على أنه كان يضرب بقوة لعله يسمع صوته لأحــد، أيّ أحد بدون جدوى نظرت فوجدت ركن الإنارة الخلفي مكسور يبدو أنه كسر ركن الإنارة لعله يتنفس بعض الهواء ، عرفت السبب ، لقد مات من شدة الحرارة ، الآن أنا انتبهت ، طيب أنا الآن أريد أن أخرج من شنطة السيارة ، السيارة نسيت أني أغلقت شنطتها أغلقت الحقيبة أريد أن أخرج ، بدأت أطرق في نفس المكان الذي كان يطرق عليه والدي بدأت أصــرخ ، لكن أحداً لم يستمع إلي ، نظرت إلى ركن الإنارة الخلفي المكسور ، كسرته أكثر ، أخرجتُ يدي ، لعلّ الأذن التي لا تستمع لي تنتمي إلى وجهٍ فيها عين تنظر إليّ بالفعل نجحت بدأت أؤشر ، أخي من بعيد نظر إلى يدي تخرج من حقيبة السيارة ، عرف أنني في داخلها ، اقترب : ايش اللي دخلك داخل حقيبة السيارة، أخرجني الآن و بعدين نتفاهم ، يا أخي يدك خارج الحقيبة الآن ، اضغط على مفتاح الشنطة ستفتح لك الشنطة وستخرج منها ، أضغط على مفتاح الشنطة ! صح ، ضــغطت علــى مفتاح الشنطة و انفتح الباب خرجت ، لكن والدي بقي يومين داخل الشنطة ولم يضغط على المفتاح و لم يخرج و مات ، تلك القصة جعلتني أفكر ، تلك القصة واقعية ، هي بالفعل لم تحدث مع والدي ، لكنها حدثت مع والد شخص آخر ، تلك القصة قرأتها و كما قرأتها نقلتها لكم نصاً تلك القصة أفادتني بأنّنا مهما بقينا نفكر في المشكلة فلن نصل إلى الحل أبداً ، كان ذلــك الرجل والد ذلك الرجل في داخل حقيبة تلك السيارة يفكر لمدة يومين أنه داخل السيارة و أنه داخل الحقيبــة ، و أنــه لا يستطيع أن يخرج منها ، كل تلك الأفكار كانت تدور في دائرة واحدة ، تلك الدائرة هي المشكلة كل اللي كان ينبغي عليه أن يبحث عن الحل وليس عن المشكلة ، بمجرّد أن يبحث عن الحل سيُخرج يده ويضغط على مفتاح شنطة السيارة ، كثيرٌ منا عندما يجلسون يتحدثون ، أرخوا آذانكم إلى حديثهم ، ثمانين بالمئة من أحاديثنا تدور في دائرة المشكلات ، في دائرة الهموم ، في دائرة الأشياء التي لا نستطيع أن نغيّر فيها شيئاً ، لو استطعنا أن نجعل هذه النسبة ثمانين بالمئة من حديثنا عن الأشياء التي نستطيع أن نغيّر فيها ، عن الأشياء التي نستطيع أن نقوم بها ، فكّر دائماً ، فكّري دائماً ، كل ما نقع في مــشكلة ينبغــي أن نُفكّر ، إذا أردتُ أن أصنع ذاتي ماذا أستطيع أن أفعل أنا حتى أصل إلى ما أريد ؟ و ليس ما يفعله الآخرون ، دعوني أضرب لكم مثل بسيط ، خرجتَ إلى عملك ، و أنت في الطريق تفاجئت الزحام المعتاد ، ياالله ، زحامُ الصباح ، السيارات المزدحمة

التي تملأ الطريق و الدقائق الميتة التي تضيع سدىً و اللحظاتُ الثقيلة التي تجعل النفس مريضةً مكتئبة ، كل يوم على هذه الحالة ، أليس كذلك ، ما رأيُكم ، هذه التجربة اللي يمر بها الكثير ، هذا متضايق و ذلك يتأفّف و الآخر عينه تقدح شرراً حتى أنك لو نويت أن تتجاوزه ، صرخ في وجهك ، كيف عرفت أنا نويت ، مجرد أني نويت ، متحفز ، كل التفكير في المشكلة أليست مشكلة ؟ دعونا ننتقل من دائرة التفكير في المشاكل دعونا ننتقل من دائرة الهموم دعونا نفكر في الحل لأنني مهما بقيت أقول أنه هذه مشكلة سأبقى حتى بعد عشرين سنة وأنا أقول هذه مشكلة دعونا نفكّر في الحل ، لمجرد أن تلتفت للتفكير في الحل ماذا ستجد ، حلاً واحداً ، عشرة حلول ، مئة حل ، أنا أعطيكم ، أحد تلك الحلول التي يمكن أن تراها لمجرد أن تلتفت إلى الحل ، و أنت في زحام الطريق حوِّل تلك الدقائق الميتة إلى دقائق عالية الإنتاج ، حوّل تلك النفس المُتضايقة إلى نفس مُفعمة بالحيويّة و النّشاط هل تستطيع أن تحوِّل طريقك المزدحم و بقاءك في سيارتك إلى برنامج علمي ، إلى محاضرة تستفيد منها ، إلى دورة تدريبية تحضرها ، اقتني العديد من ما يفيدك استماعه واجعله معك في سيّارتك بدلاً من أن تتأفّف في الزّحام استمع لما يدعوك إلى التفاؤل ، ستصل إلى عملك أو ستصل إلى بيتك و أنت عائد إليه وأنت مُفعم بالحيوية و الطاقة و النشاط ، اتركوا تلك الفكرة ، خذوا فكرة أخرى رآها بعضكم ربما ، أكتب مجموعة من الأبيات الشعرية ، بيت واحد في بطاقة ورقية و احملها معك طوال ما أنت في الطريق كرِّر تلك الأبيات ، احفظها ، أنا أعرف أحد الإخوة الذين جرّبوا هذه الطريقة ، خلال فترة وجيزة ، استطاع أن يحفظ ألفين بيت ، ألفين بيت من الشِّعر استطاع أن يحفظهم ، يقول حوَّلتُ رحلتي المضنية إلى عملي ذهاباً و من عملي إلى بيتي إياباً إلى روضةٍ أدبية و استطعت أن أجني من خلال تلك اللحظات ، قمّة الإنتاج و غاية الاستفادة و حفظت كل تلك الأبيات .

دعوني من هذا و من ذاك و استمعوا إلى قصة تلك المرأة التي كانت تشتكي دائماً من المشكلات ، أنا كُل يوم في مطبخي ، هذه مشكلة ليس لها حل ، لا بد أن نطبخ الغداء و لا بد أن نطبخ العشاء و لابد أن نغسل الصحون و لابد أن نجهِّز الطعام ، أتحداكم تصلوا من خلال ما يقول عنه هذا المتحدث إلى حل لهذه المشكلة ، هذا الكلام سمعته بأذني من أحد الأخوات التي اتصلت بي ، وقال أنتم تتحدثون عن أشياء غير واقعية ، احنا عندنا مشاكل ليس لها حل ، اقترحت عليها فكرة ، أخبرتني بعد ذلك بنتيجة تلك الفكرة ، قلت لها هل تريدي أن تُصبحي طالبة علم ، طالبة علم ! ما عندي وقت أحضر دروس ، لا لا لا أبداً كوني طالبة علم و أنتي في المطبخ ، أصلاً أنتي لو عندك وقت تحضري دروس كان أعطيتك نصيحة أخرى ، إحنا نريد وقت المطبخ ، يكفينا الآن ، طبَّقت النصيحة ثم اتصلت بي بعد ستة أشهر ، قال هل تصدق أنني الآن أحفظ أكثر من ثلاثمئة حديث و أعرف شرحها شرحاً و لو أردت أن أُلقي في كل حديث من هذه الأحاديث محاضرة لاستطعت ، كل الذي قامت به أنها أخذت مجموعة أشرطة لأحدِ العلماء ، مجموعة دروس لشرح تلك الأحاديث من أحد الكتب وبدأت بينما هي تعمل تصغي إليها و تستمع إليها ، نجحنا في التحدي ، أوجدنا حلاً، وسننجح في التحدي دائماً ، أنتم وأنتن الكل سينجح في التحدي إذا كنا قادرين على التَّحليق في دائرة اسمها دائرة القدرة ، ماذا أستطيع أن أعمل أنا ، ماذا أستطيع أن أفعل بنفسي ، هنا سنصل ، سيعود شخص آخر و يقول : يا شيخ هنالك بعض التجارب السلبية السابقة هي التي تقف أمامنا و هي التي تعيقنا ، خليك منطقي شوي ، كم مرة حاولت أن أصنع ذاتي ، كم مرة حاولت أن أحقق نجاحاتي لكنّ الفشل السّابق يسحبني

إلى الوراء مررت بتجربة قاسية ، لا أستطيع أن أتجاوزها و لا أستطيع أن أنساها ، أقول له الناجحين ليس في حياته فـشل ، الناجح لا يحمل في خارطته الذّهنية شيئاً يُسمى فشل بل يعرف ما يسمى بتجربة نحن لا نفشل نحن نخوض غمـار التَّجارب الضَّربة التي لا تقصُم ظهرك تُقوِّيك أي تجربة مررتَ بها إن كُنت تشعر بأنها كانت فشلاً فقد أخطأت و إنما هي تجربة ، أعلنتُ مرةً في أحد الصحف ، أبحث عن موظفين ، أبحث عن مدير تسويق ، حضر مجموعة أشخاص و قدموا سيرهم الذاتية ، مـن بينهم شخص عندما قابلته والتقيت معه : ايش هي مؤهلاتك ، قال : مؤهلاتي : أكثر من مئة مؤسسة فاشلة ، عملتُ علـى إدارة تسويقها ، و أُبشّرك فشلت !! ، الله يبشرك بالخير ! وإحنا كم رقمنا إن شاء الله ، قال :لا لا لا ، هـذي مـؤهلاتي الحقيقية ، كل تلك التجارب التي دفعتْ ثمنها تلك المؤسسات غالياً ستجنيها أنتَ اليوم ، والله ! أريد أن أتفاءل ، أريد أن أُصدِّقك ، قال :لا .. اسمح لي أن أُحدثك عن الخبرة التي حصلت عليها من خلال كل تلك التجارب ، عندما استمعتُ إليه تمنّيت أنني أدرتُ أكثر من مئة مؤسسة فاشلة ، حتى أحصل على خِبرته التي وصل إليها ، بمجرّد أنه اعتقد أن التجارب التي مر بها هي خِبرات نتيجة تجارب ، استطاع أن يكون واثق من نفسه وأن ينطلق من جديد ، صدِّقوني لو حوّل الفكرة واعتقد أنه فشل لَترك العمل مُنذ أول تجربة ، من بعد أول مؤسسة سكَّرها ، رُبما لا يبحث عن عمل بعد ذلك لكنه كان ينظـر إلى تجاربه نظرة إيجابية ، تذكر هذه الكلمة ، انظر لحياتك من الزاوية المشرقة ، انظري إلى حياتك مـن الزاويـة المـشرقة ، إذا استطعنا أن نمتلك تلك النظرة نستطيع أن نصنع ذواتنا ، رحلتي مع صناعة الذات بدأت بقصة ، سأختمها بقصة ، قصة لـن أنساها ، قصة واقعية حصلت معي فعلاً ، قصة تؤجِّج المشاعر في نفسي و أنا أتحدث عنها ، عندما أُدير شريط تلك القصة في مخيلتي أشعر و كأنّني سأسقط من فوق هذه المنصّة ، كانت تجربة ، دعوني أُحدثكم عنها ، عندما كنت في الصف الثاني متوسط ، و في شهر رمضان بالتحديد صليت التراويح خلف الإمام كان خاشعاً بالقدر الذي ملأ المصلين بالخشوع و كنت أحـدهم تأثرتُ من دعائه للمسلمين و نصرة المسلمين فخرجتُ و نفسي عَبِقة مُتألِّقة مشاعراً ايجابية و قمت أتساءَل و أنـا في هـذا العمر كيف أستطيع أن أخدم الدين و كيف أستطيع أن أخدم أمتي ، كانت فكرة تعتصرني ، فكرة تقتلع علـيّ أُنـسي و سروري فتحوله إلى حزن وكدر ، تلك الفكرة أن الشباب الصغار في عمري يضيِّعون أوقاتهم سدىً بدون أية فائدة وبينما أنا أسير عائد من المسجد إلى البيت ، أشاهد مجموعة من رفاقي في عمري يلعبون الكرة و يترامونها و يتراشـقونها مـن خلـف الشبكة : يا الله ! هؤلاء ضحية المؤامرة على الأمة الإسلامية ، بقيت مشاعري متأججة ، كنت أتقلب على فراشي ، جـاء الصباح فانطلقت إلى المدرسة ، أول ما وصلتُ اتجهت إلى الأستاذ عبد الله ، الأستاذ المسئول عن النشاط : يا أستاذ لو سمحت أريد أن أُلقي كلمة بعد صلاة الظهر: جميل رائع ! أعطيني الكلمة حتى اقرأها ، آآه و الله أنا للأسف ما كتبتُ الكلمة ، مـا كتبتَ الكلمة ! طيب كيف ستُلقي ؟ ، سأُلقي ارتجالاً أنا عندي أفكار و سألقي ارتجالاً ، اسمحوا لي أن أقول لكم سر لا تخبروا به أحد ، حتى تلك اللحظة لم أكن قد وقفتُ و ألقيتُ في حياتي ، و لا مرة ، للأسف الأستاذ وافق على طلبي ، مضى الوقت بطيئاً ، صلّينا الظهر ، كنتُ أصلي ، كان قلبي يرتجف ارتجافاً ، أنا لا أعرف هل هو خشوع في صلاة الظهر ، سَلَّم الإمـام أردت أن أقف ، فشعرتُ أنّ قلبي يزداد ثِقلاً و الثقل يزداد حتى انه يمنعني من الوقوف ، قلت في نفسي ، و أنا ايش اللـي جابني للمشكلة هذي لكن ، لا مناص تحاملتُ على خطواتي مشيت تقدمت وقفت أمام الطلاب انظر إليكم و كأني انظر إليهم ، كانوا أمامي عدد الصفوف خمسة صفوف ، و الأستاذ عبد الله صلى بنا إماماً و يجلس بجواري الأستاذ عبد الله قال لي : إذا

أطلتَ سأسحبُ ثوبك : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ... سورة الفاتحة .. أما بعد : المدرسة كُلها بدأت تضحك ، حتى الجدران كانت تضحك ، أحد المدرسين كان سمين جداً لم يردني أن انظر إليه و هو يضحك وضع يديه على فمه كنت انظر إلى بطنه يضحك .. المدرسة كلها كانت تضحك ، يا الله ، اسألني عن أعظم أمنية ، سأقول لك ، أتمنى أن تنشق الأرض و تبتلعني ، اشعر بتنميل في أطرافي ، اشعر بأن رُكبي تنتفض ، أشعر بأن قلبي ذهب و تَركني ، اشعر بأن شخص عَصَر ليمونةً فوق رأسي ، أكاد أن أنكمش و أتضاءل كانت تلك هي مشاعري ، اسألني عن أيِّ أُمنية لا أتمنّاها سأُجيبك بكلمة واحدة : لا أتمنى أن يراني أحد لا أتمنى أن يسمعني أحد لا أتمنى أن يشعر بي أحد أتمنى أن اختفي ، تقدمتُ بخطوات متثاقلة و الضحكات تنسحبُ شيئاً فشيئاً ، كنت أجلس قبل الصلاة و أثناء الصلاة في الصف الثاني ، تقدمت حتى وصلتُ إلى الصف الثاني جلستُ في مكاني أنزلتُ رأسي اصطَكّت رأسي برُكبتي كان الجالس عن يميني يضحك و يضربني ضربات بسيطة فأميلُ إلى اليسار فيضحك الجالس عن يساري و يضربني ضربات بسيطة أنقذني صوت المدرس ، أحد الأساتذة بدأ يصرف الصفوف حتى يعودوا للحصة بعد الصلاة ، الصف الأخير يتحرك الصف الذي يليه يتحرك الصف الثالث يتحرك الصف الثاني يتحرك وصلني الدور ، وقفوا جميعاً حتى يغادروا وقفتُ و كبَّرتُ السُّنة ، انصرفوا جميعاً ، بعد أن انتهيت التفتُّ يمين ، التفتُّ يسار لا يوجد أحد الآن اهرب الآن أقف ، ذهبت إلى فصلي ، يا الله نسيت إذا كنت آخر من يغادر المصلى سأكون آخر من يصل إلى الفصل ، كل السخرية تنتظرني داخل الفصل ، فتحتُ باب الفصل : قاه قاه قاه قاه ، الكُل بدأ يضحك ، من نعمة الله عَلي أن طاولتي كانت الطاولة الأولى ، سحبت طاولتي و جلست ، بدَأت العبارات تتراشق كل منهم يضربُ رأسي بعبارة ، أخرجت كتاب و دفنت وجهي فيه ، أأبكي ؟ كيف أُعبِّر عن مشاعري ؟ كيف أُفجِّر يأسي ؟ كيف أُحدِّثكم عن إحباطي ؟ تخيلوا تلك الكثافة السلبية العالية التي تكدَّست في نفسي ، بينما أنا كذلك ، ضربة قوية على الطاولة ، رفعتُ رأسي : مدرس اللغة العربية ، سحبني من يدي أخرجني، أوقفني أمام الطلاب ، الأستاذ إبراهيم كان قاسياً ، يمتلك كف لم أذُقها ولكنني رأيتُ من سقط على الأرض لأنَّه ذاقها ، يا ساتر أمسكَ بيدي ، ماذا يريد ، أوقَفَني أمام الطلاب ، عاقَبني لوحدي ، تفاجئتُ بأن يده التي كانت تمسكُ بيدي كانت ترسلُ لي مشاعرَ المحبة مشاعر مُفعمة بالحميمية ، رفعَ يدي عالياً : أحسنتَ يا مريد ، أحسنتَ يا مُريد ، كأني مُنتصر في حلبة المصارعة ، أنا لا أكتُمكم في البداية كنت مُطأطئ و نظري يصافح الأرض ، لما رَفع يدي إلى الأعلى : أحسنتَ يامريد ، ليش ايش سويت بدأت ، قال الأستاذ إبراهيم : مريد هو الشخص الوحيد الذي وقف أمامكم و لم يتحدثْ و لم يقف منكم أي شخص و لم يتحدث منكم أي شخص ، مريد وقف ولم تقفوا ، الذي وقفَ اليوم ولم يتحدث يقف غداً و يتحدث ، آآه صح : أقف غداً و أتحدث أنا لم أفشل أنا مررتُ بتجربة ، الأستاذ إبراهيم جعلني انظر إلى التجربة من الزاوية الايجابية ، جعلني انظر إليها من الزاوية المشرقة ، ماذا تتوقعون النتيجة اليوم الثاني وبعد صلاة الظهر وقفتُ أمام الطلاب و قلت أما بعد ثم تحدثت و تكلمت ، ترى لو أنني لم انظر إلى تلك التجربة بزاويةٍ ايجابية ما الذي كان سيحدث ؟ ما كنتُ سأقف أمامكم في هذه اللحظات .

لن أنسى كلمةً أخيرة قرأتُها عندما كنتُ صغيراً في أحد الكتب قال مؤلفُ ذاك الكتاب ما احترق لسانٌ بقوله نار ، و لا اغْتَنى فقيرٌ بقوله ألفَ دينار ، قُل ألف دينار إلى الأسبوع القادم لن تجد في جيبك و لا حتى ديناراً واحداً ، قل نار إلى الشهر القادم لن يحترق لسانك ، و لكن قل فِكرتك بعد أن تُعمِلها في ذِهنك ، تحدَّثْ بها ، ثم اكتُبها ، ثم خطِّط لتنفيذِها ، ثُم انطلق

بعزيمة ، ستُحقِّق ذاتك ، سَتصِل إلى ما تُريد و ستكون كما تُريد ، و ذلك ما تُريدون ، و ذلك ما أُريد .

اسأل الله سبحانه و تعالى أن يجعلنا كما نطمح و كما نأمل وكما نُريد أن نكون .

الحياة تجربة و صناعة الذات فكرة تخلق الأمل و الأمل لا بد أن يحذوه العمل وبذلك نستطيع أن نكون و نستطيع أن نحقــق ذواتنا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد